الخصائص البيئية للأزقة في مدينة الشامية ـ ازقة حيي السراي والسوق نموذجا

أ.م. د. ابراهيم ناجي عباس

جامعة القادسية/كلية التربية

Ibrahem.naje@qu.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٥/٣/٢٢

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٥/٤/١٠

الملخص:

مثلت الازقة في مدينة الشامية احد اخر المعالم التراثية فيها والتي حفظها السكان بفضل سلوكهم في المحافظة على ممتلكاتهم من المباني وحرصهم على الإبقاء على منفذ الوصول اليها. يتركز وجود اغلب الازقة في الحيين القديمين للمدينة وهما حي السراي وحي السوق اذ يمكن تقسيم الازقة فيهما الى نوعين: الازقة السكنية، والازقة التجارية ويتراوح عرض هذه الازقة ما بين ١–٥متر اذ يظهر اكثر عرض لهذه الازقة يتمثل بالأزقة التجارية القديمة للمدينة والمتمثل بسوق التجار والعطارين وسوق القصابين اذ يبلغ عرض الازقة ما بين ٣–٥متر وجميعها مسقوفة لتلبي الغرض منها، اما اقل عرض فيظهر ضمن الازقة السكنية بالقرب من الجامع الكبير في حي السوق من المدينة فضلا عن بعض الأجزاء من حي السراي وفيها يكون العرض بين ١–٣متر كما يمكن تقسيمها بحسب امتدادها إلى نوعين وهما الزقاق المفتوح النهايتين (المستمر)، والنوع الثاني هو المغلق من جهة واحدة ومفتوح من الجهة الأخرى وهو الذي يتشكل كممر أكثر خصوصية من النوع الأول وتقع عليه مداخل عدد من الدور السكنية.

من اهم الخصائص البيئية للأزقة في مدينة الشامية زيادة مدة الظل بفعل زيادة ارتفاع الأبنية، وان لاختلافات في مستوى ارتفاع الأبنية المتجاورة في هذه الازقة ساهم ايجابيا في تظليل سقوف البنايات الأقل ارتفاع وتقليل تعرضها الاشعاع الشمسي الذي يعمل على رفع درجات الحرارة داخل هذه المباني بخاصة في

فصل الصيف. لقد ساهم انشاء نظام الصرف الصحي لهذه الازقة في تحسين بيئة هذه الازقة وحماية سكانها من انبعاثات الغازات السامة والامراض المصاحبة للمجاري المكشوفة القديمة، فضلا عن تحسين منظر هذه الازقة. تعد الازقة في مدينة الشامية اليوم أكثر نظافة من حيث وجود النفايات بالمقارنة مع الشوارع السكنية في الاحياء حديثة التصميم؛ وسبب ذلك ضيق الزقاق الذي لا يسمح بوجود النفايات او حاويتها كونها الطريق الوحيد للأشخاص. تتسم الازقة في مدينة الشامية في اغلب الأوقات بالهدوء من ناحية الضوضاء التكنولوجية؛ نظرا لعدم استقبالها لحركة المركبات بشكل دائم. ان معظم الازقة في مدينة الشامية مرصوفة بالخرسانة الاسمنتية وهذه تؤثر في مستوى الإضاءة ودرجات الحرارة داخل هذه الازقة تبعا للونها ولطبيعتها في الاكتساب الحراري وانبعاثه. ومن جهة أخرى يلاحظ في هذه الازقة انها تخلو تماما من جميع النباتات حتى تلك التي توضع في السنادين؛ ولربما السبب الرئيس هو ضيق هذه الازقة.

الكلمات المفتاحية : الخصائص البيئية ، مدينة الشامية ، المعالم التراثية في الشامية

Environmental Characteristics of the Alleys in the City of Al-Shamiya - The Alleys of the Saray and Souq Neighborhoods as a Model

Assistant Professor Ibrahim Naji Abbas

University of Al-Qadisiyah/College of Education

Date received: 22/3/2025
Acceptance date: 10/4/2025

Abstract

The alleys in the city of Shamiya represented one of the last heritage landmarks in it, which the residents preserved thanks to their behavior in preserving their building properties and their keenness to maintain access to them. The presence of most of the alleys is concentrated in the two old neighborhoods of the city, which are the Saray District and the Souq District. The alleys in them can be divided into two types: residential alleys and commercial alleys. The width of these alleys ranges between 1-5 meters, as the widest width of these alleys appears represented by the old commercial alleys of the city, which is represented by the merchants and herbalists' market. And the butchers' market, where the width of the alleys is between 3-5 meters and all of them are covered to meet their purpose. As for the smallest width, it appears within the residential alleys near the Grand Mosque in the Souq district of the city, as well as some parts of the Saray district, where the width is between 1-3 meters and can be divided. According to its extension, it is divided into two types: the open-ended alley (continuous), and the second type is closed on one side and open on the other, which is shaped like a more private corridor than the first type, and the doors of a number of residential floors are located on it.

One of the most important environmental characteristics of the alleys in the city of Shamiya is the increase in the duration of shade due to the increase in the height of the buildings, and the differences in the level of height of adjacent buildings in these alleys contribute positively to shading the ceilings of lower-height buildings

and reduce their exposure to solar radiation, which works to raise the temperatures inside these buildings, especially in the hot season summer.

The establishment of a sanitation system for these alleys has contributed to improving the environment of these alleys and protecting their residents from toxic gas emissions and diseases associated with old open sewers, as well as improving the appearance of these alleys. The alleys in the city of Shamiya today are cleaner in terms of the presence of waste compared to the residential streets in the newly designed neighborhoods. The reason for this is the narrow alley, which does not allow the presence of waste or its containers, as it is the only way for people. The alleys in the city of Shamiya are most of the time quiet in terms of technological noise. Because it does not receive vehicular traffic permanently.

Most of the alleys in the city of Shamiya are paved with cement concrete, and this affects the level of lighting and temperatures inside these alleys depending on their color and the nature of heat gain and emission. On the other hand, it is noted that these alleys are completely devoid of all plants, even those placed in containers. Perhaps the main reason is the narrowness of these alleys.

Keywords: Environmental characteristics, Al-Shamiya city, heritage landmarks in Al-Shamiya

المقدمة

تمثل الازقة في مدينة الشامية احد اهم المعالم التراثية فيها التي عكست الفكر التخطيطي والعمراني السائد في تلك الحقبة من تاريخها، وعلى الرغم من انه لا يمكننا الجزم بان طريقة تصميم الازقة هي نتاج مدروس النتائج الا اننا نستطيع القول في ان تلك الازقة لبت اهم الحاجات المنشودة من وجودها في ذلك الوقت. واليوم وبعد مضي مدة طويلة من وجود تلك الازقة بفضل سلوك الافراد في المحافظة على ممتلكاتهم العمرانية وإبقاء الحال كما كان سابقا نستطيع ان نتفهم سبب ذلك الوجود، اذ لم تكن الازقة في حالة حماية من المؤسسات المختصة بالرغم من الأهمية التراثية لتلك الازقة وان عمليات تطوير المباني المطلة على تلك الازقة ساهم في تغيير أهمية تلك الازقة واثر في خصائصها البيئية ، اذ لم تعد المباني بنفس التصميم الذي تضمن الحوش او الفضاء الداخلي الواسع الذي يعوض الفضاء الخارجي الضيق في الزقاق وعوض الحديقة الداخلية للمنزل عن وجودها في خارجه، وحتى ارتفاعات المباني الحالية زاد كثيرا عن المباني القديمة فاثر بمستوى الإضاءة وحتى التهوية، فضلا عن اختلاف نوعية وكمية النفايات بين الماضي والحاضر وطريقة جمعها جعل من سكان هذه الازقة يواجهون بعض الصعاب في التخلص من نفاياتهم ،وان زيادة كميات المياه المستهلكة زاد أيضا من صعوبة التخلص من مياه الصرف الصحي في ظل عدم وجود نظام صرف صحي نموذجي .

من هنا كان لابد من تسليط الضوء على الخصائص البيئية لتلك الازقة بقصد رفع جودة الحياة لساكنيها وتذليل الصعوبات التي تواجههم فيها.

تمثلت مشكلة البحث بالأسئلة التالية: هل توجد ازقة في مدينة الشامية؟ وما هي اهم الخصائص البيئية لها؟

وكانت الفروض العلمية ان مدينة الشامية أحد اهم المدن التاريخية في محافظة الديوانية اذ ظهرت بموقعها الحالي قبل أكثر من ١٢٦ عام، وان عدد من ازقتها القديمة ما زال موجودا ولها خصائص بيئية افرزتها حالة التطور العمراني للمدينة منها ما هو إيجابي وبعضها سلبي يستدعي العرض والتحليل والمعالجة.

حدود البحث: تتمثل الحدود المكانية للبحث بمدينة الشامية وهي مركز قضاء الشامية التابع لمحافظة الديوانية خريطة رقم (١)، اما الحدود الزمانية فتتمثل بالبيانات المكانية والوصفية الخاصة بالأزقة في مدينة الشامية لسنة ٢٠٢٣ والدراسة الميدانية في ٢٠٢٣/١٢/١٥ و٢٠٢٤/٢/٢.

خريطة (١) موقع وموضع منطقة الدراسة

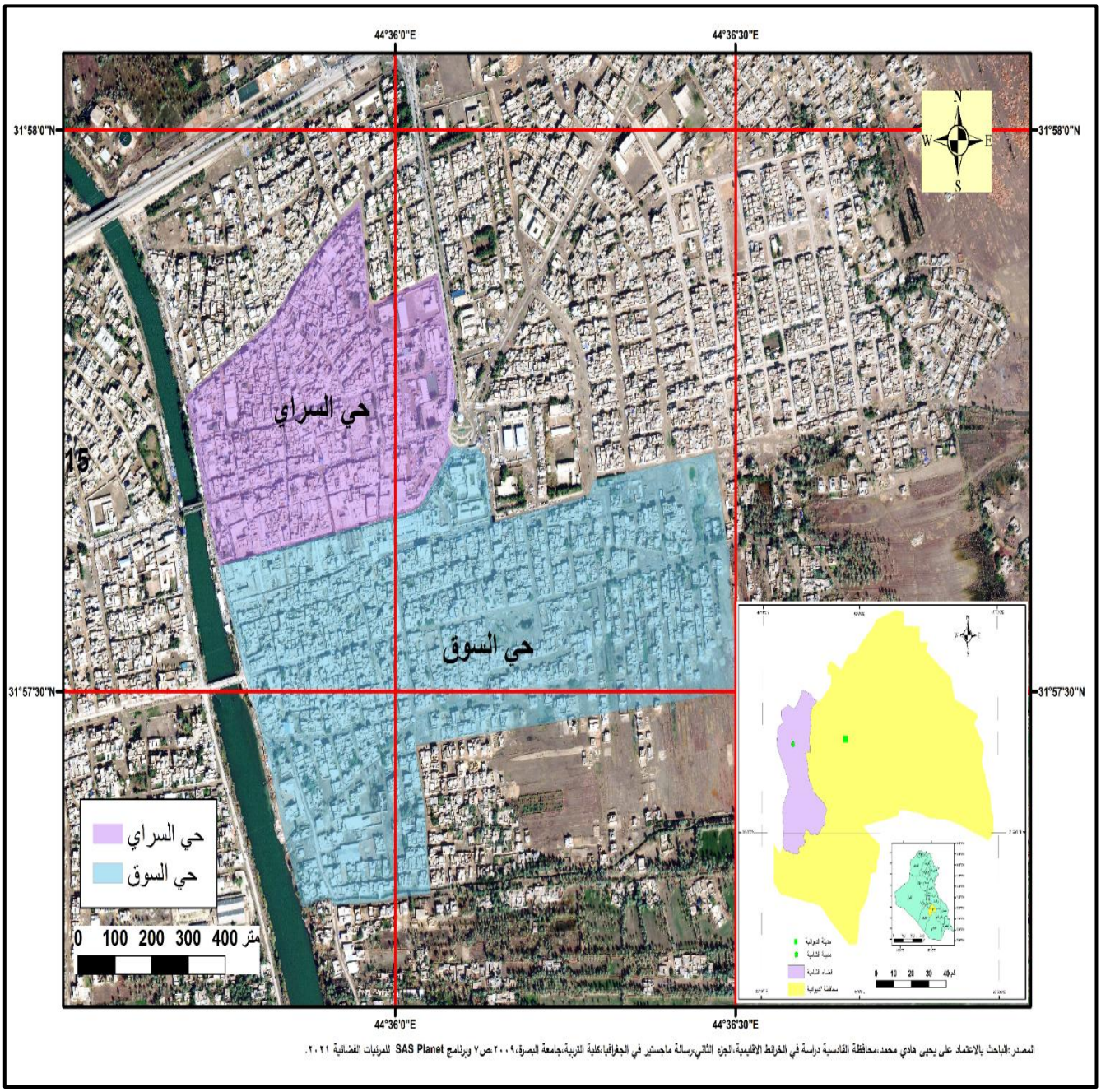

المصدر :الباحث بالاعتماد على يحيى هادي محمد،محافظة القادسية دراسة في الخرائط الاقليمية،الجزء الثاني،رسالة ماجستير في الجغرافيا،كلية التربية،جامعة البصرة،٢٠٠٩،ص٧ وبرنامج SAS Planet للمرئيات الفضائية ٢٠٢١.

مدينة الشامية تاريخيا

يعتبر تخطيط المدينة، العامل الرئيسي الذي ينعكس على شكلها وتركيبها الداخلي، والمدينة بدون تخطيط، يعني تطور عمراني عشوائي يتصف بالفوضى والارتباك، ولهذا فكل مدينة تمارس نشاطها ضمن إطار خطتها الموضوعة آنيًا ومستقبلاً ، وهناك فرق بين مورفولوجية المدينة التي أنشأت على خطة وتلك التي لم تنشأ على خطة. لقد بقيت مدينة الشامية وحتى الوقت الحاضر محدودة التوسع نتيجة لإحاطتها ببساتين النخيل والأراضي الزراعية وهذا ما أثر كثيرا في تجديد بنيتها العمرانية بشكل مستمر مما صعب تتبع التطور العمراني لهذه المدينة ومقارنته بالماضي فضلا عن أثر ذلك في اختفاء اغلب الازقة القديمة بعد عمليات التطوير التي شهدتها المدينة.

للتعرف على الازقة القديمة في مدينة الشامية لابد من التعرف على تاريخ هذه المدينة، وقد تناوبت عدة مدن او قرى كمركز اداري لهذا القضاء او المنطقة اذ أن مركز قضاء الشامية لم يكن ثابتاً خلال فترة الاحتلال العثماني والإنكليزي للعراق اذ شغلت في البداية منطقة تعرف بتل الزهيرية والتي تقع شمال شرق مدينة الشامية الحالية وكانت مركزا للقضاء سنة ١٨٤٤م, ثم انتقل مركز القضاء الى الشنافية سنة ١٨٦٩م بعدها انتقل مركز قضاء الشامية الى (أم البعرور) التي تمثل اليوم قرية العنكوشي الغربية الواقعة على اثار نهر قديم مندرس [١] يدعى الموير د[٢] شمال غرب مدينة الشامية الحالية بمسافة ثلاث كيلو مترات وذلك سنة ١٨٧١م, ثم انتقل مركز القضاء الى مدينة الحميدية عام ١٨٩٧ التي أنشئت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وسميت بالحميدية سنة ١٨٩٨م نسبة إلى السلطان عبد الحميد تيمناً به[٣] ، ثم نقل مركز القضاء من الحميدية الى ابي صخير سنة ١٩١٠م ؛ بسبب "ارتفاع نسب الرطوبة وتلوث الهواء مما سبب ضررا خطيرا بالصحة" اذ فتكت الملاريا وغيرها من الامراض بأهالي هذه البلدة كما يذكر ذلك قائمقام البلدة عاكف بك[٤] .،ثم اعيد مركز القضاء الى الحميدية مرة أخرى سنة ١٩١٤م ثم أبدلت الحكومة العراقية تسمية الحميدية باسم (الشامية) وذلك عام ١٩٢٤ [٥] . ان التنقل المستمر لمركز قضاء الشامية عمل على عدم تطور مركز هذا القضاء ونموه بشكل يتلائم والعمق التاريخي لهذا القضاء، والحميدية كموقع وبناء هي أصل مدينة الشامية الحالية ولابد من انها ظهرت ونمت حتى تم اختيارها لتكون مركز للقضاء سنة ١٨٩٢م غير ان نقل المركز الإداري اليها لم يتم فعليا حتى عام ١٨٩٧م[٦] عموما يمكن القول ان نشأة المدينة قد تعود الى

ما قبل عام ١٨٤٤م اذ كان تل الزهيرية مركزا للقضاء سنة ١٨٤٤م وهذه المنطقة هي ضمن الحدود البلدية للمدينة الحالية ولا يبعد الموقع الاثري المسمى بنفس التسمية اكثر من ١٣٠ متر عن اقرب حي سكني لمدينة الشامية الحالية خريطة رقم(٢).

ظهرت الحميدية(الشامية) على الضفة اليسرى لنهر الشامية، وكان اول الأبنية الحكومية هو بناء السراي الحكومي ومقر القائمقامية او دار الحكومة(السراي) هو بمثابة مجمع الدوائر الرسمية في القضاء كما كان يضم محكمة البداءة فضلا عن سجن[٧] صورة رقم(١) لذا فان اول حي ظهر في المدينة هو حي السراي نسبة الى (السراي) او دار الحكومة الذي كان يقع بالقرب من النهر صورة رقم(١) وهو اليوم ضمن حي السوق حسب توزيع الاحياء الحالي للمدينة مما يؤشر الى ان تسمية حي السوق اليوم لا تنطبق مع التسمية الاصلية (السراي) ولعل مما ينبغي الإشارة اليه ان نمو حي السراي الى مناطق ابعد من مبنى السراي أدى لاحقا الى قطع جزء منه سمي بنفس الاسم فيما تم ابدال اسم المنطقة الاصلية(السراي) التي تضم السوق باسم حي السوق نسبة الى وجود السوق فيها.

تميزت هذه الفترة بالنمو العمراني العضوي وهو نمو بسيط يقوم على اساس إشغال المساحات أو الفضاء بالبناء ويظهر هذا النوع من التخطيط ضمن احياء السراي والسوق وهما يمثلان المدينة القديمة ويتميز النمو العمراني لمدينة الشامية في هذا الجزء بتمركز الوحدات السكنية بصورة رئيسية حول الجامع الكبير للمدينة الذي أسس سنة ١٨٨٥م* ويعود ذلك إلى العلاقة الروحية التي تربط الناس بالمراكز الدينية.

يذكر لوريمر ان عدد سكان مدينة الحميدية سنة ١٩٠٨ كان ٤٠٠٠نسمة وبلغ عدد الدور المشيدة ٢٥٠ دار كان منها ٥٠ فقط مشيدة بالطابوق او الاجر والباقي من الطين والقصب والحصير، وفي الواقع ان قسمة عدد السكان على عدد الدور يظهر ان الدار الواحدة ضمت ١٦ فردا وهذا رقم ربما يكون مبالغ به وبخاصة مع الوضع الصحي المتردي آنذاك؛ بسبب انتشار الامراض والاوبئة وكثرة الوفيات بين الأطفال لكن العثمانيين أشاروا الى ان عدد السكان كان ١٥٠٠ فقط[٨] وهذا رقم أكثر عقلانية بالمقارنة مع عدد الدور.

خريطة(٢) موقع مركز المدينة القديم(تل الزهيرية) من مدينة الشامية الحالية

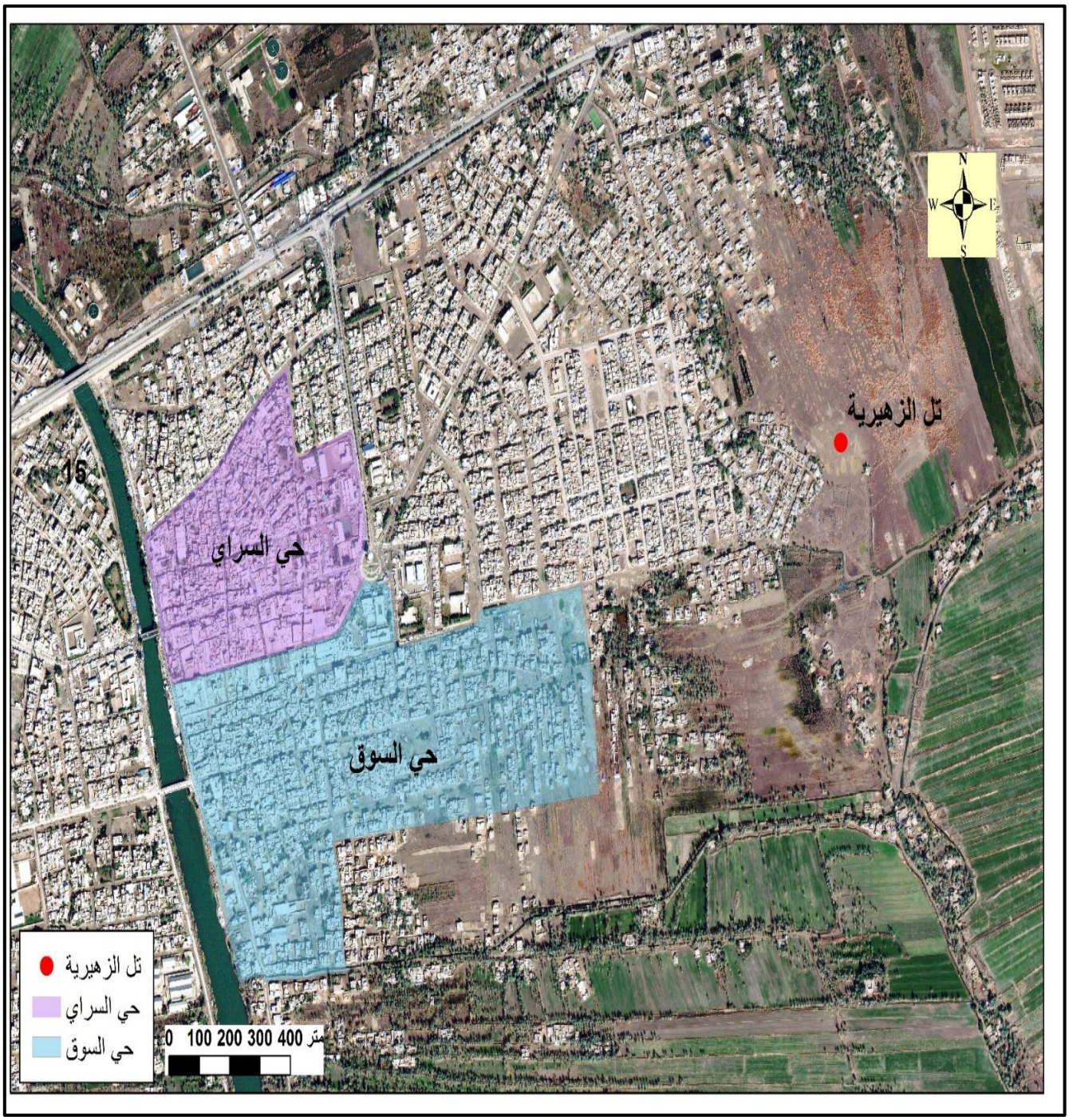

المصدر: الباحث بالاعتماد على خريطة رقم(١) وبرنامج Arc gis10.8

صورة (١) السراي الحكومي* في مدينة الشامية

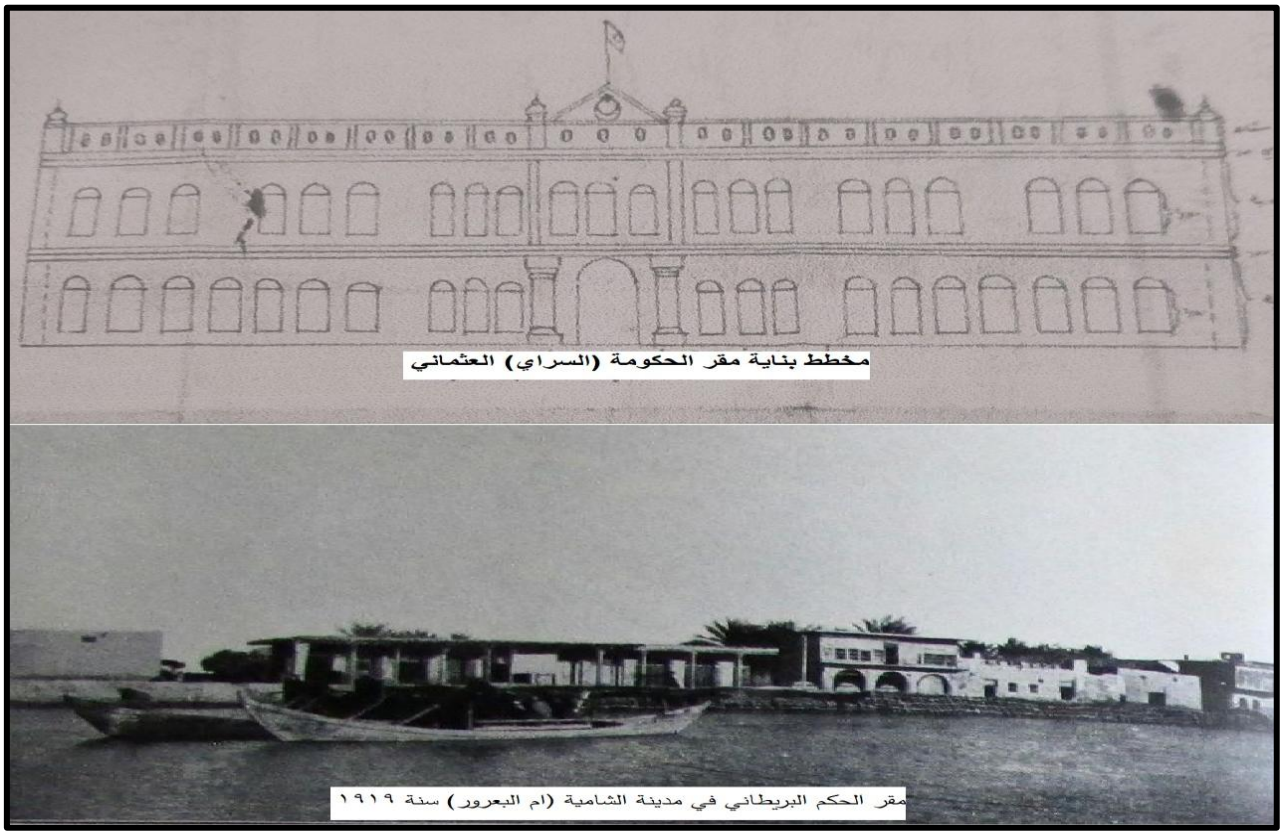

1-Edited by his Father, An administrator in the making : James Saumarez Mann, 1893-1920,longmans,Green,And CO,England,1921,p.146

٢- سامي ناظم حسين، الحميدية (الشامية حاليا) دراسة وثائقية في ضوء المصادر العثمانية ١٨٩٧-١٩١٠م، سلسلة تاريخ الديوانية وتوابعها (٣)، مصدر سابق، ص٦٨.

ان هذه المرحلة من عمر المدينة كانت الازقة عبارة عن ممرات تتناسب ومرور الناس والدواب بالنظر لعدد الدور الموجودة، وان حجم الدار يتأثر بحسب حجم الاسرة اذ ان زيادة عدد الذكور يتيح إمكانية البناء لمنشئات أكثر في الوحدة السكنية فضلا عن دورهم في بناء اسر جديدة مما يستدعي زيادة في حجم الدار.

وغالبا ما تنتهي الأجزاء المطلة من هذه الدور على الممرات بجدران تخلو من الشبابيك وهذه من التقاليد الاجتماعية؛ التي تهدف الى (الستر) من عيون المارة، وهذه الممرات او الأزقة تكون في أكثر الأحيان ملتوية وذات أشكال متعرجة، وقد تنتهي أحياناً بنهايات مسدودة لا مخارج لها. ومن الأسباب الداعية لأتباع هذا التخطيط من البناء في ذلك الوقت كما يبدو عمق الروابط الاجتماعية والحفاظ على الأمن من

عمليات السطو وكذلك اتقاء البرد القارص والحر الشديد. وفي الواقع لا يوجد اليوم من الأبنية في حي السوق والسراي ما يمثل هذه المرحلة من عمر المدينة ولربما تمثل بعض الازقة تلك المرحلة.

في عام ١٩٢١ أنشئت اول حكومة وطنية للعراق وأصبح العراق دولة ملكية مما أسهم في التوجه نحو تطوير المدن وفي هذه المرحلة امتد حي السراي الى الشمال والشرق من المدينة فيما امتد حي السوق باتجاه الشرق والجنوب[ix]، وكان ذلك النمو عضويا وغير مخطط ؛ مما أسهم من ظهور الازقة في مناطق النمو الجديدة ، وظهرت كذلك الاستعمالات الإدارية والأمنية المتمثلة بدار الحكومة التي أسست عام ١٩٢٤[(x)] ، وشيد نادي الموظفين عام ١٩٣٩وشيدت مستشفى الشامية عام ١٩٤٦ [(xi)]

ومنذ عام ١٩٤٧ كان تخطيط المدن في العراق وحتى بداية الخمسينيات من القرن الماضي كان مقتصرا على اعداد مخططات للطرق العامة في المدينة وتحديد محرماتها مع اعداد افراز الاراضي ضمن هيكل عام بسيط للمدينة في حين بلغ عدد سكان المدينة (٦٣٨٢) نسمة عام١٩٤٧[xii]. وبعد ثورة تموز عام ١٩٥٨ تم تأسيس وزارة البلديات، وقد استحدث ضمن تشكيلاتها مديريات التخطيط العمراني للمحافظات التي اخذت على عاتقها تخطيط المدن العراقية.

وفي هذه المرحلة اتسم نمو المدينة بنوع من التنظيم نتيجة للتطور الذي شهده العراق عقب الاستقرار السياسي النسبي الذي شهده العراق اذ تقوم الدولة في تخطيط وتوجيه النمو العمراني، من اجل منع الفوضى التي تنجم عن سوء التخطيط. ولعل معظم أجزاء المدينة الجديدة نشأت وتطورت وفقا للتخطيط المعد من قبل الدولة وبالتالي بدأت تختفي الازقة الناتجة عن النمو العضوي لتحل محلها شوارع سكنية.

وعندما بني جسر الشامية الحديدي الثابت عام ١٩٥٠ [(xiii)]م؛ امتد نمو المدينة بشكل اكثر باتجاه الصوب الأيمن لنهر الشامية ، وشهدت المدينة تطورا كبيرا في مورفولوجيتها وقد ظهر اول تصميم أساسي للمدينة سنة ١٩٧٤ وقد وضع هذا التصميم منسجما مع طبيعة استعمالات الأرض السابقة ، وبشكل عام تميزت هذه الفترة بالنمو السريع للأحياء السكنية اذ ظهرت العديد من الاحياء الى جانب حيي السوق والسراي مثل احياء الجوادين والمعلمين والخوئي والعسكري الشرقي والغربي والمنتظر وحي الحسين والأمير* وجميع هذه الاحياء تخلو من الازقة كونها اعتمدت التصميم الأساس في نموها .راجع خريطة رقم (٢).

١-التوزيع الجغرافي للأزقة في مدينة الشامية

في مدينة الشامية يتركز وجود اغلب الازقة في الحيين القديمين للمدينة وهما حي السراي وحي السوق ،ومما ينبغي الإشارة اليه ان الحدود الحالية لهذين الحيين لا تنطبق مع الحدود القديمة اذ جرى توسعة حدود كلا منهما واصبحا اكبر ومن ثم التجأت البلدية الى فصل أجزاء من هذه الاحياء وانشاء احياء جديدة كما مر علينا سابقا، وعلى أي حال يمكن تمييز الأجزاء القديمة لهذين الحيين من خلال توزيع الازقة ضمنهما اذ اختفت الازقة في معظم الأجزاء الجديدة نتيجة لاعتماد التخطيط والتصاميم الأساسية، ومن خلال الخريطة رقم(٣) يتضح ان اغلب الازقة المتبقية هي ضمن حي السوق الحالي وهذه الازقة أحد اهم المعالم في المدينة القديمة.

الازقة بطبيعتها بين مدينة وأخرى كما ان موقعها هو الاخر يختلف الا انها في الغالب توجد في الجزء القديم من المدن او ما يعرف بالمدينة القديمة التي نمت بطريقة عضوية، اذ تمثل الأزقة في مدينة الشامية ما تبقى من شبكة شوارع أقدم ولعل من اهم خصائصها التصميمية، انها عادة ما تكون مسار للمشاة، يربط بين الدور السكنية ، وتأخذ اشكال مختلفة كالشكل المستقيم وهي السائدة في مدينة الشامية، والقليل منها هو الشكل المتعرج أو الملتوي ، وهذه الازقة تكون قصيرة لكن لا يخلو بعضها من الطول الذي يمكن استخدامه في حركة المرور المحلية البطيئة، ولأنها ضيقة وأكثر ملاءمة للمشاة من الشارع العادي فهي لا تستخدم لمرور وسائل النقل السريعة وبالتالي لا تحوي على ارصفة.

عموما تنقسم الأزقة في مدينة الشامية الى نوعين الأول هي الازقة السكنية التي هي عبارة عن منازل مطلة على زقاق والنوع الثاني ازقة تجارية وهي عبارة أسواق وتتمثل بسوق التجار المتخصص ببيع الاقمشة والعطور وبعض المواد الأخرى ، وسوق العلاوي فهو متخصص ببيع الحبوب كالرز والقمح، وتتكون هذه الأسواق من محال تطل على زقاق وهي عادة اعرض من الازقة السكنية. كما يمكن تقسيمها بحسب امتدادها إلى نوعين وهما الزقاق المفتوح النهايتين (المستمر)، والنوع الثاني هو المغلق من جهة واحدة ومفتوح من الجهة الأخرى ويعد كممر أكثر عزلة او خصوصية من النوع الأول وتقع عليه مداخل المنازل السكنية، وهذه الازقة لا تحافظ على عرض واحد، ويتراوح عرضها في مدينة الشامية ما بين ١-٥مترويمكن تصنيف مواقعها بحسب العرض اذ يظهر اكثر عرض لهذه الازقة ضمن المناطق التجارية القديمة للمدينة

والمتمثل بسوق التجار وسوق العلاوي خريطة رقم(٣) اذ يبلغ عرض الازقة ما بين ٣-٥متر وجميعها مسقوفة لتلبي الغرض منها، اما اقل عرض فيظهر ضمن المناطق السكنية بالقرب من الجامع الكبير في حي السوق من المدينة فضلا عن بعض الأجزاء من حي السراي وفيها يكون العرض بين ١-٣متر، ويمكن دراسة الخصائص البيئية للازقه في مدينة الشامية وفقا لما يلي:

خريطة رقم(٣) التوزيع الجغرافي للازقة في حيي السراي والسوق في مدينة الشامية

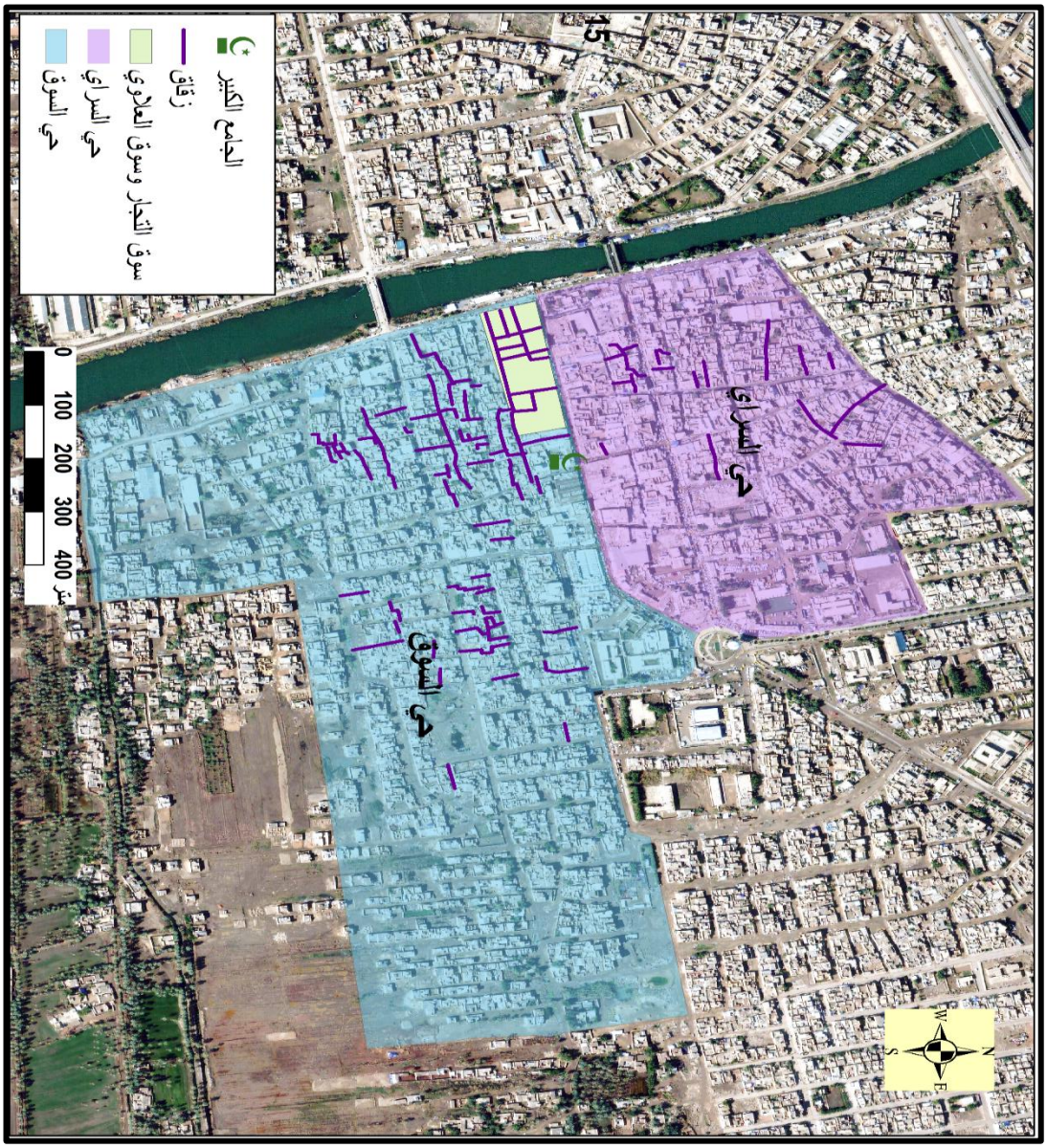

المصدر:الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية وخريطة رقم(١)

الإضاءة والتهوية

التعامل مع الضوء الطبيعي هو عنصر أساسي للتكيف مع المناخ في المناطق ذات درجات الحرارة المرتفعة، فعلى الرغم من أن الضوء الطبيعي أمر مرغوب فيه، إلا أن أشعة الشمس المباشرة المفرطة يمكن أن تؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة.

ان الازقة الضيقة تسمح بدخول الضوء الطبيعي المنتشر مع حجب أكثر للإشعاع الشمسي المباشر، ومن جهة أخرى ان سماح الازقة بتوفير الضوء الطبيعي يعمل على التوازن بين الخصوصية والاضاءة والتهوية، ويتم ذلك من خلال النوافذ المطلة على الزقاق التي تسمح بالإضاءة والتهوية مع الحفاظ على الخصوصية لسكان هذه المباني.

تعتمد شدة الإضاءة على اتجاه النوافذ ومقدار زاوية ارتفاع الشمس فضلا عن اتجاه الزقاق مقارنة بمسار الشمس الظاهري ويتحدد اتجاه النوافذ عادة باتجاه الزقاق نفسه اذ ان اغلب الازقة في مدينة الشامية تأخذ الاتجاه ان زيادة مقدار زاوية ارتفاع الشمس لأكثر من ٥٧ درجة يقلل من شدة الضوء بشكل عمودي على النوافذ ولهذا فان اغلب الإضاءة في فصل الصيف الذي تزداد فيه زاوية ارتفاع الشمس عن ٥٧ درجة ناتجة عن الانعكاس من الأرض[xiv] او الأبنية ، في حين انه خلال فصل الشتاء يمكن ان يحدث سقوط مباشر للإشعاع الشمسي على النوافذ لولا وجود البنايات وهذا يتعلق بنسبة عرض الزقاق الى ارتفاع المباني فيه فهي تؤثر أيضا بزاوية الاشعاع الشمسي الواصل الى الزقاق ، اذ كلما زاد عرض الزقاق مقارنة بارتفاع الأبنية زادت كمية الاشعاع الشمسي الواصل ،ويلاحظ ان النوافذ تكون بارتفاعات اكثر نظرا لارتفاع مستوى اساسات الأبنية التي تم إعادة بنائها ضمن هذه الازقة صورة رقم(٢) مما ساهم في زيادة الخصوصية مع محاولة الحفاظ على الإضاءة التي تناقصت كثيرا بفعل زيادة ارتفاع الأبنية وسيادة الظل في الازقة الضيقة اغلب الاوقات.

ان الاختلافات في مستوى ارتفاع الأبنية المتجاورة في هذه الازقة ساهم ايجابيا في تظليل سقوف البنايات الأقل ارتفاع وتقليل تعرضها الاشعاع الشمسي الذي يعمل على رفع درجات الحرارة داخل هذه المباني بخاصة في فصل الصيف.

ومن جهة أخرى وبالرغم من ان زيادة ارتفاع المباني المجددة على هذه الازقة زاد من فترات الظل وهو الامر المفيد في فصل الصيف الا ان زيادة فترة الظل تؤثر في خفض درجات الحرارة خلال الشتاء داخل الزقاق.

ان إعادة بناء الدور السكنية بالتصاميم الحديثة التي تخلو من نظام(الحوش) السابق ساهم في تقليل مقدار الفراغات داخل هذه الدور التي كانت تعوض نقص الفراغ الخارجي في الزقاق وتزيد من الضوء والتهوية مما أثر اليوم بزيادة استهلاك الطاقة في الغرف الداخلية التي تبتعد عن الازقة من اجل الإضاءة او التهوية.

صورة(٢) احد الازقة في مدينة الشامية وتظهر فيه مستوى ارتفاع الأبنية والشبابيك والابواب بعد تجديدها

المصدر: الدراسة الميدانية في ٢٠٢٣/١٢/١٥.

النفايات

نشأت الازقة قديما حيث لم تكن هناك نوعية النفايات التي هي اليوم اذ لم تكن هناك أكياس وعلب البلاستك او العلب المعدنية والورقية كذلك لم تكن كمية النفايات العضوية بهذا الحجم الذي وصلته اليوم لذا كانت هذه الازقة نظيفة الى حد ما وبذلك فتصميمها يتناسب مع هذه المشكلة.

تعد الازقة في مدينة الشامية اليوم أكثر نظافة من حيث وجود النفايات بالمقارنة مع الشوارع السكنية في الاحياء حديثة التصميم؛ وسبب ذلك ضيق الزقاق الذي لا يسمح بوجود النفايات كونها الطريق الوحيد للأشخاص، فضلا عن الطبيعة الاجتماعية لساكني هذه الازقة، والاحترام المتبادل. وتظهر حاويات النفايات كلما زاد عرض ذلك الزقاق.

ولان هذه الازقة ضيقة فغالبا سيارات جمع النفايات لا تدخلها لذا يتولى ساكني هذه الازقة نقل نفاياتهم الى هذه السيارات عند قدومها او نقلها الى مناطق ابعد من ازقتهم، لقد اجبر تصميم الازقة سكانها الى المحافظة على نظافتها على العكس من الشوارع العريضة التي تعاني من تجمع النفايات او القائها بشكل عشوائي؛ مما يسبب انبعاث الروائح الكريهة ضمن مواقع تجمع هذه النفايات فضلا عن المنظر غير الحضاري.

الصرف الصحي:

كان نظام الصرف الصحي او ما يعرف بالمجاري في ازقة مدينة الشامية من نوع القنوات السطحية المكشوفة التي زادت مشاكلها في العصر الحديث نظرا لزيادة استهلاك المياه وربط المياه الثقيلة بمياه المطابخ والحمامات، اذ غالبا ما تعاني هذه الازقة من الروائح الكريهة الناتجة من انبعاثات الميثان من هذه القنوات المكشوفة فضلا عن منظرها غير الحضاري.

وقد بادر أصحاب المنازل في عدد من هذه الازقة بأنشاء نظام صرف لتلك الازقة يرتبط بنظام الصرف العام في المدينة صورة رقم(٣) من اجل التخلص من سلبيات المجاري المكشوفة . وفي عام ٢٠٢١ شهدت المدينة بناء نظام صرف صحي شمل بعض الازقة السكنية ايضا اذ تم ربط الكثير من هذه الازقة بنظام الصرف الصحي داخل الأرض بواسطة الجهد البشري نظرا لتعذر دخول الاليات الى تلك الازقة، وشمل الصرف

الصحي المياه الثقيلة فقط ولم يشمل تصريف مياه الامطار لذا قد تتجمع مياه الامطار أحيانا داخل تلك الازقة صورة رقم(٤) لقد ساهم انشاء نظام الصرف الصحي في تحسين بيئة الازقة المشمولة به وحماية سكانها من انبعاثات الغازات السامة والامراض المصاحبة عادة لهذا النوع من المجاري المكشوفة، فضلا عن تحسين منظر هذه الازقة.

وبالرغم من المباشرة بأعمال نظام الصرف الصحي منذ ٢٠٢١ الا انه ما زالت هناك بعض الازقة التي لم يتم ربطها بهذه الشبكة راجع صورة رقم (٢) وما زال يعاني سكانها من تلك المشكلة ولعل السبب الرئيس في ذلك ضيق هذه الازقة وعدم إمكانية انهاء العمل بمدة قصيرة مما يسبب تعطيل وشل الحركة داخل هذه الازقة.اما الازقة التجارية فهذه لم يتم انشاء نظام مجاري فيها مطلقا نظرا لان اغلب المحال فيها لا تستخدم الماء بكثرة اذ ان ان اغلب محالها تتخصص ببيع الاقمشة والعطور والمواد المنزلية فضلا عن بعض محال العطاريات.

صورة (٣) احد الازقة المشمول بنظام الصرف الصحي

المصدر :الدراسة الميدانية في ٢٠٢٣/١٢/١٥.

صورة(٤) احد الازقة غير المشمولة بشبكة تصريف مياه الامطار

المصدر: الباحث يوم ٢٠٢٤/٢/٢

الضوضاء:

تتسم الازقة في مدينة الشامية في اغلب الأوقات بالهدوء نظرا لأنها لا تستقبل حركة المركبات عدا بعض الدراجات النارية الثنائية العجلات، وان سرعة هذه الدراجات في الازقة المفتوحة النهايتين عادة ما تكون بطيئة مما يخفض من شدة الضوضاء.

اما في الازقة التجارية فعلى الرغم من غلق الدخول لهذه الأسواق من جهة شارع الامام علي امام حركة المركبات الا انها يمكن ان تدخل من شوارع أخرى محيطة بازقة هذا السوق، اذ ان هناك حركة لمركبات الحمل سواء من الدرجات النارية الثلاثية العجلات(ستوته) او بعض سيارات الحمل الصغيرة، فضلا عن حركة الدرجات النارية ثنائية العجلات وهذا كله يؤثر بمستوى الضوضاء داخل هذه الازقة.

ان تقارب الجدران وتقابلها في الازقة السكنية كون سطوح عاكسة للصوت مما يمكن من تمييز الحديث داخل هذه الازقة ولعل هذه صفة اغلب الازقة القديمة في المدن وبخاصة تلك الازقة التي تتضمن بروزات تقليدية فضلا عن السطوح العاكسة للصوت الناتجة من تقابل الجدران. وقد أظهرت بعض الدراسات ان البيئة الصوتية في النسيج التقليدي أكثر تفضيلا من النسيج الحديث وذلك لقلة مصادر الأصوات المزعجة، مثل الاصوات التكنولوجية فيها مع هيمنة للأصوات البشرية والطبيعية، وهي الاكثر تفضيلا لدى المتلقي [xv]

الرصف:

يؤثر الرصف للأزقة بموضوعين لهما تأثير بيئي الأول يتعلق بالإضاءة والثاني بدرجات الحرارة اذ ان لون مادة الرصف يؤثر بمقدار الإضاءة داخل الزقاق ومقدار امتصاصه للإشعاع الشمسي، اما نوع تلك المادة فيؤثر بمقدار الحمل الحراري لها وبالتالي مقدار الانبعاث الحراري لها.

تتسم معظم الازقة في مدينة الشامية بانها مرصوفة بالخرسانة الاسمنتية وعلى الرغم من ان نوع الأسمنت المستخدم في إنتاج الخرسانة يؤثر في لونها الا انه عادةً ما ينتج عن الأسمنت البورتلاندي العادي اللون الرمادي، وهو اللون الأكثر شيوعًا للخرسانة اذ يعمل على انعكاس جزء من الضوء الساقط عليه بما يعزز الإضاءة داخل الزقاق، الا ان غالبية الاشعاع الشمسي تمتصه الخرسانة نظرا للونها القريب للداكن؛ مما يؤدي

إلى ارتفاع درجة حرارتها ومن الجدير بالذكر ان لون الخرسانة الأسمنتية يتأثر أيضا بشكل أساسي بالمواد المستخدمة في تركيبها مثل الرمل والحصى وهي المكونات الرئيسية للخرسانة. ويساهم لون هذه المواد وخاصة الحصى في اللون الطبيعي للخرسانة، فمثلا الخرسانة المصنوعة من الحصى الأبيض أو الفاتح اللون سيكون لها مظهر أفتح، في حين أن تلك المصنوعة من الحصى الداكن سيكون لها لون أغمق.

ويمكن أن يؤثر محتوى الرطوبة في الخرسانة على لونها اذ قد تبدو الخرسانة الرطبة أغمق لونا من الخرسانة الجافة بسبب زيادة امتصاص الضوء بفعل الرطوبة وهذا ما تتميز به الازقة التجارية المسقوفة في مدينة الشامية اذ تزداد درجة رطوبة هذه الخرسانة بفعل عدم تعرضها للإشعاع الشمسي المباشر الذي يعمل على تجفيفها وبالتالي فان أرضية هذه الازقة تؤثر في خفض الإضاءة في هذه الازقة.

بشكل عام الخرسانة ذات اللون الفاتح تعطي انعكاس أفضل للضوء داخل الزقاق مع انخفاض قابليتها على امتصاص الاشعاع الشمسي وتوليد الحرارة.

وبخصوص الانبعاث الحراري تتميز الخرسانة بكتلة حرارية عالية، مما يعني أنها قادرة على امتصاص وتخزين الطاقة الحرارية من أشعة الشمس والبيئة المحيطة اي أن الخرسانة يمكنها نقل الحرارة بكفاءة نسبية مما يسمح لها بامتصاص الحرارة أثناء النهار وإطلاقها ببطء في الليل وبالتالي رفع درجة حرارة الازقة وبخاصة في فصل الصيف إذا ما تعرضت لمدة أطول من الاشعاع الشمسي.

النباتات:

تعد النباتات أحد أهم العناصر التي تربط الناس بالطبيعة وللنباتات تأثير في تنقية وترطيب الهواء؛ وبالتالي جودة أفضل للهواء، فضلا عن أثرها بالمناخ التفصيلي.

كان تصميم الحوش للدور المطلة على الازقة الضيقة هو الذي يوفر الفضاء الداخلي الذي يسمح بوجود الحديقة التي توفر الهواء النقي المعتدل في درجة حرارته، اما اليوم فالتصاميم الحديثة لا توفر هذا الفضاء الداخلي مما يجعل الازقة الضيقة وهي الفضاء المفتوح الوحيد بيئة اقل راحة على الأقل من الناحية النفسية والمزاجية.

يلاحظ في ازقة مدينة الشامية انها تخلو تماما من جميع النباتات حتى تلك التي توضع في السنادين ولربما السبب الرئيس هو؛ ضيق هذه الازقة، لذا تتطلب الأزقة الضيقة حلولاً إبداعية لوضع النباتات اذ تعتبر الحدائق العمودية والزراعة بالحاويات او السنادين من الخيارات المثالية صورة رقم(). ان طبيعة الإضاءة التي تصل الى هذه الازقة تفرض نوع من النباتات اذ يجب ان تكون هذه النباتات من نوع النباتات شبه الظلية التي تتكيف مع قلة ضوء الشمس المباشر اذ ذكرنا سابقا ان ارتفاع المباني الجديدة الذي لا يتناسب مع عرض اغلب الازقة قلل من وقت الضوء المباشر للشمس.

اما بالنسبة للأزقة التي تلبي الحاجات التجارية فهي الأخرى لا تتضمن أي نوع من النباتات على الرغم من سعة عرض هذه الازقة وبنفس الوقت فان حالة وجود السقوف في لتلك الازقة يفرض نوع محدد من النباتات اذا ما تم العمل على تخضير هذه الازقة.

إن اختيار النباتات المقاومة للجفاف امر مهم بخاصة ان المدينة تشهد صيفا تصل فيه درجات الحرارة الى ٥٠ درجة مئوية وتقل معه الرطوبة النسبية حتى تصل الى خلال شهر تموز واب. ويعد تشجيع سكان هذه الازقة على المشاركة في زراعة النباتات من اهم الأمور التي تؤدي الى النجاح.

المصادر:

أولا: الكتب:

١- سامي ناظم حسين، إبراهيم ناجي عباس، الأثر البيئي في نقل المركز الإداري لقضاء الشامية من ام البعرور عام ١٨٩٧م، دار الفرات للثقافة والاعلام، بابل، ٢٠٢٠.

٢- سامي ناظم حسين، الحميدية (الشامية حاليا) دراسة وثائقية في ضوء المصادر العثمانية ١٨٩٧-١٩١٠م،سلسلة تاريخ الديوانية وتوابعها(٣)،دار الفرات للثقافة والاعلام ،العراق-بابل،٢٠٢١.

٣- وداي العطية، تاريخ الديوانية قديما وحديثا، منشورات المكتبة الحيدرية ، مطبعة شريعت، الطبعة الثانية.

الكتب الأجنبية

1- Edited by his Father, An administrator in the making : James Saumarez Mann, 1893-1920,longmans,Green,And CO,England,1921

ثانيا: الرسائل الجامعية

٤- حسين علي عبد الحسين، التقييم المناخي لتصميم الأبنية في مدينة الديوانية (دراسة في المناخ التفصيلي)،أطروحة دكتوراه، كلية الآداب ،جامعة القادسية،٢٠١٨.

٥- عاتكة فائق رضا، الوظيفة الصحية واقليمها في مدينة الشامية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القادسية،٢٠١٥.

٦- يحيى هادي محمد، محافظة القادسية دراسة في الخرائط الإقليمية، الجزء الثاني، رسالة ماجستير في الجغرافيا، كلية التربية، جامعة البصرة،٢٠٠٩.

ثالثا: الدوريات

١- سوزان عبد حسن، البيئة الصوتية للمدن: دراسة مقارنة في البيئة الصوتية للنسيج الحضري التقليدي والحديث في مدينة بغداد ، المجلة العراقية لهندسة العمارة والتخطيط ، المجلد ١٢، العدد ٢٧، ٢٠١٣.

ثالثا: المؤسسات الحكومية:

١-مديرية بلدية الشامية، التصميم الأساس لمدينة الشامية حتى سنة ٢٠٣٥، غير منشور.

٢-وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ، تعداد عام ١٩٤٧ ، بيانات غير منشورة.

رابعا: الدراسة الميدانية

خامسا: البرامج:

١- برنامج Arc Gis 10.8
٢- برنامج SAS Planet

هوامش البحث :

١ سامي ناظم حسين، إبراهيم ناجي عباس، الأثر البيئي في نقل المركز الإداري لقضاء الشامية من ام البعرور عام ١٨٩٧م، دار الفرات للثقافة والاعلام، بابل،٢٠٢٠، ص٢١

٢ وداي العطية، تاريخ الديوانية قديما وحديثا، منشورات المكتبة الحيدرية ، مطبعة شريعت، الطبعة الثانية، ص ١٥٣

٣ سامي ناظم حسين،الحميدية(الشامية حاليا)دراسة وثائقية في ضوء المصادر العثمانية ١٨٩٧-١٩١٠م،سلسلة تاريخ الديوانية وتوابعها(٣)،دار الفرات للثقافة والاعلام ،العراق-بابل،٢٠٢١،ص١٥.

٤ المصدر نفسه،ص٢٥.

٥ – وداي العطية، مصدر سابق، ص ١٥٣

٦ سامي ناظم حسين،الحميدية(الشامية حاليا)دراسة وثائقية في ضوء المصادر العثمانية ١٨٩٧–١٩١٠م،سلسلة تاريخ الديوانية وتوابعها(٣)،مصدر سابق،ص١٥.

٧ سامي ناظم حسين، الحميدية(الشامية حاليا)دراسة وثائقية في ضوء المصادر العثمانية ١٨٩٧–١٩١٠م،سلسلة تاريخ الديوانية وتوابعها(٣)،مصدر سابق،ص١٩

* تظهر اللوحة التعريفية لجامع الشامية الكبير على ان تاريخ تأسيسه كان سنة ١٨٨٥ في حين يرد في كتاب الحميدية للدكتور سامي ناظم حسين ان الجامع تم افتتاحه يوم ١١ تشرين الأول ١٩٠١م.

٨ سامي ناظم حسين، الحميدية (الشامية حاليا) دراسة وثائقية في ضوء المصادر العثمانية ١٨٩٧–١٩١٠م، سلسلة تاريخ الديوانية وتوابعها (٣)، مصدر سابق، ص٢٤

* يعتقد الباحث ان البريطانيين استفادوا من السراي العثماني نفسه كمقر للحاكم البريطاني بعد احتلالهم العراق او قاموا بالتعديل عليه ويتضح ذلك من خلال المقارنة بين مخطط السراي العثماني وصورة السراي التي التقطها الحاكم البريطاني سنة ١٩١٩ فضلا عن مذكراته ومذكرات الانسة بيل.

ix عاتكة فائق رضا، الوظيفة الصحية واقليمها في مدينة الشامية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القادسية،٢٠١٥،ص٢٠

x – وداي العطية ،مصدر سابق، ص ٢٠٨

xi وداي العطية،مصدر سابق، ص٢١١

xii وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ، تعداد عام ١٩٤٧ ، بيانات غير منشورة ، ص٣٠ .

xiii – وداي العطية ،مصدر سابق، ص ٢١٤

* بعض تسميات الاحياء حديثة مأخوذة من مديرية بلدية الشامية.

xiv حسين علي عبد الحسين، التقييم المناخي لتصميم الأبنية في مدينة الديوانية (دراسة في المناخ التفصيلي)،أطروحة دكتوراه، كلية الآداب ،جامعة القادسية،٢٠١٨،ص٧٠

xv سوزان عبد حسن، البيئة الصوتية للمدن: دراسة مقارنة في البيئة الصوتية للنسيج الحضري التقليدي والحديث في مدينة بغداد ، المجلة العراقية لهندسة العمارة والتخطيط ، المجلد ١٢، العدد ٢٧، ٢٠١٣،ص٢٨